

فضل ليالي العشر الأواخر من رمضان

المثزر». وهذا لفظ مسلم.

فأنت ترى أيها المسلم أيها الصائم مبالغته صلوات الله وسلامه عليه في الاجتهاد، حتى إنه كان يشد مثزره، كناية عن اعتزال النساء، أو كناية عن الاجتهاد، وهذا من الأسوة الحسنة، صلوات الله وسلامه عليه، يدل على مبادرته واغتنامه الأوقات الفاضلة واجتهاده في طاعة ربه.

ثانيًا: ومن خصائص هذه العشر ومزاياها أن جعل سبحانه فيها ليلة القدر، وهذه الليلة قد خصها الله سبحانه وتعالى بخصائص منها:

١- أنه سبحانه أنزل فيها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقال تعالى: ﴿حَمِّمْنَا الْكُتُبَ الْمُبِينِ﴾. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ١-٣].

قال ابن عباس وغيره: «أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجمًا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ». [تفسير ابن كثير].

٢- وصفها بأنها خير من ألف شهر: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

٣- وصفها بأنها مباركة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾.

٤- أنها تنزل فيها الملائكة والروح: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الله تعالى فضل - بحكمته - بعض الأزمنة على بعض، وجعل منها مواسم للتجارة الرابحة معه سبحانه، فكما فضل شهر رمضان على بقية الشهور، فقد جعل العشر الأواخر منه أفضل لياليه، وأيامها أكمل أيامه، وخصها عن بقية أيام الشهر ولياليه بخصائص ومزايا.

ومن أظهر هذه الخصائص وأهمها:

أولاً: اجتهاد النبي ﷺ فيها فوق ما كان يجتهد في غيرها في العبادة، كما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «وكان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره».

يتمثل ذلك في إحياء الليل كله، والجد، وشد المثزر، وإيقاظ الأهل لشهود هذا الخير وعدم الحرمان منه، ورد ذلك في الحديث المتفق عليه من رواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد، وشد

سورة ليلة القدر

بقلم:
زكريا حسيني

وقوله: «إيماناً واحتساباً» قال ابن حجر: أي تصديقاً بوعده الله بالثواب عليه، وطلباً للأجر لا لقصده آخر من رياء أو نحوه. [فتح الباري] (٢٥١/٤).

وبعد، ففي هذا ترغيب للمسلم وحث له على قيام ليلة القدر، وابتغاء وجه الله بذلك، والاقتران برسول الله ﷺ في التماسها وتحريها، فقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه اعتكف العشر الأول ثم الأوسط ثم الأخير، وفي ذلك كله يلتبس ليلة القدر حتى أكد ﷺ أنها في العشر الأخير، وهي في أوتار العشر أكد؛ لحديث عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «تحرروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر». [رواه البخاري].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لكن الوتر يكون باعتبار الماضي، فتطلب ليلة إحدى وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين، وليلة خمس وعشرين، وليلة سبع وعشرين، وليلة تسع وعشرين، ويكون باعتبار ما بقي كما قال النبي ﷺ: «لتاسعة تبقى، لسابعة تبقى، لخامسة تبقى، لثالثة تبقى»، فعلى هذا إذا كان الشهر ثلاثين يكون ذلك ليالي الأشفاق، وتكون الاثنتان والعشرون تاسعة تبقى، وليلة أربع وعشرين سابعة تبقى، وهكذا فسره أبو سعيد الخدري في الحديث الصحيح، وهكذا قام النبي ﷺ في الشهر، وإذا كان الأمر هكذا فينبغي أن يتحراها المؤمن في العشر الأواخر جميعه». [مجموع الفتاوى] (٢٨٤/٢٥، ٢٨٥). وأرجاها السبع الأواخر، كما جاء في

[القدر: ٤]. قال ابن كثير في «تفسيره»: أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيمًا له، وأما الروح فالمراد منه هنا جبريل عليه السلام، فيكون من عطف الخاص على العام. [ابن كثير «تفسير سورة القدر»].

٥- وصفها بأنها سلام، أي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا أو يعمل فيها أذى، كما قال مجاهد، أو تقضى فيها الأمور وتقدر الأجال والأرزاق كما قال قتادة، أو تُسَلَّم فيها الملائكة على أهل المساجد حتى يطلع الفجر، كما قاله الشعبي. [تفسير ابن كثير بتصرف].

٦- وصفها بأنها يُفَرَّق فيها كل أمر حكيم؛ أي يُفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الأرزاق والأجال، وما يكون فيها من كل أمر محكم لا يبدل ولا يغير، وذلك مما سبق علم الله تعالى به وكتابته له، ولكن يظهر للملائكة ما سيكون فيها ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم. [ابن كثير، تفسير سورة الدخان].

٧- أن من قامها إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه». [متفق عليه].

معتكفه، كما جاء في الصحيحين من حديث عائشة.

وقال الأئمة الأربعة وغيرهم- رحمهم الله جميعاً:- يدخل قبل غروب الشمس، وأوّلوا الحديث على أن المراد أنه دخل المعتكف وانقطع وخلا بنفسه بعد صلاة الصبح، لا أن ذلك وقت ابتداء الاعتكاف. [انظر شرح النووي لصحيح مسلم، وفتح الباري].

ويسن للمعتكف الاشتغال بالطاعات، من قراءة قرآن، وذكر، وتسبيح، وصلاة، ونحوها. ويحرم عليه الجماع ومقدماته؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ولا يخرج من المسجد إلا لحاجة لا بد منها، ولا يمكن فعلها في المسجد؛ لقول عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ إذا اعتكف يذني إلي رأسه فارجله، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان». [متفق عليه، واللفظ لمسلم].

وللمعتكف أن يجلس مع أهله أو غيرهم ممن يأنس به ويتحدث إليه في مباح قليلاً من وقته، فقد ثبت في الأحاديث الصحاح أن أزواجه كن يزرنه، وربما اجتمعن عنده ﷺ.

قال بعض العلماء: وإن اشترط الخروج لعيادة مريض أو شهود جنازة فله الخروج، ولا يخرج لذلك بلا شرط، قالت عائشة رضي الله عنها: «إن كنت لأدخل البيت للحاجة والمريض فيه، فما أسأل إلا وأنا مارة...» [رواه مسلم].

جعلنا الله من المسابقين إلى الخيرات، المتباعدين عن المنكرات والزلات، وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

حديث ابن عمر؛ أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر». [متفق عليه]. وفي حديث مسلم: «التمسوها في العشر الأواخر، فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يُغْلَبَنَّ على السبع البواقي».

وقد اختلف العلماء في تعيينها أي ليلة من ليالي العشر، بناءً على اختلاف الأدلة فيها، ورجح بعض العلماء أنها تنتقل وليست في ليلة معينة كل عام.

قال النووي رحمه الله: «وهذا هو الظاهر المختار لتعارض الأحاديث الصحيحة في ذلك، ولا طريق إلى الجمع بين الأحاديث إلا بانتقالها». [المجموع]. وذكر أنه رجحه المزني وابن خزيمة، وكذلك رجحه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري».

ولعل الحكمة في إخفاء هذه الليلة هي أن يجتهد العباد في طلبها، ويجدوا في العبادة، كما أخفيت ساعة الجمعة وغيرها.

فينبغي للمؤمن أن يجتهد في أيام العشر ولياليها طلباً لليلة القدر، اقتداءً بنبينا ﷺ، وأن يجد في الدعاء والتضرع إلى الله، ومما ورد من الدعاء في تلك الليلة ما روت عائشة رضي الله عنها قالت: قُلْتُ: يا رسول الله، أرايت إن وافقت ليلة القدر ما أقول؟ قال: قولي: «اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني». [رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، واللفظ للترمذي، وقال: حسن صحيح].

ثالثاً: اختصاص الاعتكاف فيها بزيادة الفضل على ما سواها من أيام السنة.

والاعتكاف: لزوم المسجد لطاعة الله تعالى، ولقد كان رسول الله ﷺ يعتكف هذه العشر كما صحت بذلك الأحاديث، وكان ﷺ إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل